

روح المعاني

كتب الرحمة والتقوى والإيمان بمتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان أسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم بل منهم الموصوفون بكيث وكيث وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية .

واختار هذا شيخ الإسلام ولا يبعد عندي أن يكون ذلك بيانا لقسم آخر من القوم مقابل لما ذكره موسى عليه السلام في قوله : أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فيه تنصيص على أن من القوم من لم يفعل وقيل : أناس وجدوا على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم موصوفون بذلك كعبدا بن سلام وأضرابه ورجحه الطيبي بأنه أقرب الوجوه وذلك أنه تعالى لما أجاب عن دعاء موسى عليه السلام بقوله تعالى : فسأكتبها إلى قوله سبحانه : الذين يتبعون الرسول الأمي الخ ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما فيه تبكيت لليهود وتنبيه على إفترائهم فيما يزعمونه في شأنه عليه السلام مع إظهار النصفة وذلك بقوله تعالى : قل يا أيها الناس الخ وقوله سبحانه : فآمنوا الخ عقب ذلك بقوله عز شأنه : ومن قوم موسى الخ والمعنى أن بعض هؤلاء الذين حكينا عنهم ما حكينا آمنوا وأنصفوا من أنفسهم يهدون الناس إلى أنه E الرسول الوعود ويقولون لهم : هذا الرسول النبي الأمي الذي نجده مكتوبا عندنا في التوراة والإنجيل ويعدلون في الحكم ولا يجورون ولكن أكثرهم ما أنصفوا ولبسوا الحق بالباطل وكتموه وجاروا في الأحكام فيكون ذكر هذه الفرقة تعريضا بالأكثر .

واعترض بأن الذين آمنوا من قوم موسى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا قليلين ولفظ أمتة يدل على الكثرة وأيضا إن هؤلاء قد مر ذكرهم فيما سلف وأجيب بأن لفظ الأمة قد يطلق على القليل لاسيما إذا كان له شأن بل قد يطلق على الواحد إذا كان كذلك كما في قوله تعالى : إن إبراهيم كان أمة وبأن ذكرهم هنا لما أشير إليه من النكتة لا يأتى ذكرهم فيما سلف لغير تلك النكتة وتكرار الشيء الواحد لإختلاف الأغراض سنة مشهورة في الكتاب على أنه قد قيل : إنهم فيما تقدم قد وصفوا بما هو ظاهر في أنهم مهتدون وهنا قد وصفوا بما هو ظاهر في أنهم هادون فيحصل من الذكرين أنهم موصوفون بالوصفين نعم يبقى الكلام في نكتة الفصل ولعلها لاتخفى على المتدبر وقيل هم قوم من بني إسرائيل وجدوا بين موسى ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام وهم الآن موجودون أيضا فقد أخرج ابن جرير وغيره عن ابن جريج أنه قال : بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله تعالى لهم نفقا في الأرض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء يستقبلون

قبلتنا وإليهم الإشارة كما قال ابن عباس بقوله تعالى : وقلنا من بعده لبني إسرائيل
اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيها وفر وعد الآخرة بنزول عيسى عليه السلام
وقال : إنهم ساروا في السرب سنة ونصفا .

وذكر مقاتل كما روى أبو الشيخ أن ابن عباس قال : تعالى أجرى معهم نهرا وجعل لهم مصباحا من نور
بين أيديهم وأن أرضهم التي خرجوا إليها تجتمع فيها الهوام والبهائم والسباع مختلطين
وأن النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم ليلة المعراج ومعه جبريل عليه السلام فأمنوا به
وعلمهم الصلاة وعن الكلبي والضحاك والربيع أنه عليه السلام علمهم الزكاة وعشر سور من القرآن نزلت
بمكة وأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وأقرؤه سلام موسى عليه السلام فرد النبي عليه السلام
وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أنه قال بينكم وبينهم نهر من رمل